الانفتاح الدلالي لمفردة الليل في دواوين الشاعر الإماراتي حسن النجار

د. رسول بلاوي

أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة خليج فارس ، بوشهر - ايران

r.ballawy@pgu.ac.ir

رقم الموبايل : ٠٠٩٨٩١٦٦٢٣٠٤٩٨

الملخص: مفردة الليل أخذت في الشعر العربي الحديث دلالات جديدة فضلاً عن دلالاتها المعهودة في الأدب القديم، والشاعر المعاصر وجد في هذه المفردة طاقات دلالية موحية في نقل أفكاره ورؤاه إلى المتلقي، فهي بالرغم من غموضها تحمل معها زخماً دلاليّاً فاعلاً وتكشف عن هواجس الشاعر واحساساته. انعكست هذه المفردة في شعر حسن علي النجار بكثافة وبصورٍ فنيّة. وعند استعراضنا لظاهرة الليل في سياقاتها الشعرية وجدنا أنّ الشاعر تعامل معها من خلال دوائر دلالية مختلفة في دواوينه الثلاث. وإنّنا في هذه الدراسة عبر المنهج الوصفي – التحليلي، نحاول أن نفك شفيرة هذه المفردة في نتاج هذا الشاعر الاماراتي المعاصر ونكشف عن دلالاتها الإيجابية والسلبية. وقد توصّل البحث إلى نتيجة مفادها أنّ النجار استخدمَ الليل كجزء من حياته ليرمز به إلى الظلمة والمآسي والغربة تارةً وإلى الأمان والاستقرار والهدوء تارة أخرى.

الكلمات المفتاحية: الشعر الاماراتي الحديث، الانفتاح الدلالي، مفردة "الليل"، حسن النجار.

The Implicative Openness of the Word Night in Hasan Al-najar Poetry Books

Rasoul Balavi

(Associate Professor, department of Arabic language and literature

, Persian Gulf University, Bushehr - Iran)

r.ballawy@pgu.ac.ir

Mobile: 00989166230498

Abstract:

The word night in modern Arabic poetry has new implications besides its old implications in traditional literature. The poet found that this word has significant implications whichever transfer his thoughts and imaginations to the reader; and this word in spite of its ambiguity has active implications that reveal the poet's feelings. This word has been reflected in his poetry a lot and in a technical way. Studying the word night in its poetical use, we found that the poet used it in different implicative circles in his three books. We in this descriptive analytic study try to discover this Emirates poet's texts and decode the word night and its positive and negative implications. We concluded that the poet, Al-najar used Night as a word related to his life to point at the darkness and grief and exile , and also safety, stability, and silence.

Keywords: Modern Emirates Poetry, Implicative openness, the word night, Hasan Al-najar.

المقدمة:

شغلَ "الليل" في نتاج الشعراء حيزاً واسعاً باعتباره ظاهرة طبيعية تطلّ عليهم كل يوم، وقد أضفى الشعراء على هذه الظاهرة دلالات جديدة تساعدهم على نقل أفكارهم ورؤاهم. الليل بسبب ظلامه الدامس أصبح مظهراً من مظاهر الغموض والتخوّف والتستّر، وهذا الغموض انعكس في النصوص الشعرية أيضاً فجاءت مفردة "الليل" تحمل في طياته دلالات سلبية وأخرى إيجابية حسب نفسية الشاعر. وبما أنّ الليل ظاهرة طبيعية تطلّ على الانسان وتحيطه من كل جانب، فقد تعامل معها كجزء من حياته، تلازمه كل يوم. «لليل خصوصياته التي تعمّق قيمته الدلالية وتؤكّد صلته بالشعر، فالليل زمن الشعور والمتعة والإثارة، والخيال والحلم والحب، وهذا ما يجعل الليل مثيراً فاعلاً، كما أن الليل يمثّل موضوعاً للشعر، وهدفاً مهمّاً له، لأنّه مؤهّل للكشف عن هوية الرؤية الشعرية، وقناعة الذات المبدعة وتصوراتها» (١).

وقد تعامل الشعراء مع "الليل" و«حوّلوه من كونه ظاهرة طبيعية واقعية إلى كونه فضاء تتجاور فيه عناصر التجربة المختلفة توافقاً وتنافراً. وقد استخرج كل واحد منه ومما ارتبط فيه من عناصر وأحداث، معاني متجذرة في النفس وفي الحياة بعيدة المرامي والغايات، أو ما يُمكن أن نسمّيه المعنى الأعمق والأبعد للتجانس الكوني والإنساني وهو ما عبّرنا عنه اختصاراً بـ (الانفتاح الدلالي)». (٢).

المتصفّح لدواوين الشاعر الإماراتي المعاصر حسن النجار يجده متعلّقاً بمفردة "الليل" فهذا التعلّق في معظم قصائده مثيرٌ للتساؤل وملفتٌ للانتباه، حيث دفعنا لتتبّع هذه المفردة في نتاجه الشعري واخضاعها لعملية النقد والتحليل والتفسير بغية التوصّل إلى دلالاتها وطاقاتها الشعورية. يبدو استخدامه لمفردة "الليل" في دواوينه لا ينحصر على جماليات هذه المفردة وتشكيلها للبنية الموسيقية من خلال تكرارها المكثّف، فكثرة استخدام هذه المفردة والإلحاح على تكرارها باشكال وأنماط متعدّدة في شعره يدلّ على أنّ معنى هذه المفردة الموحية إنّما يعود إلى بعض الذكريات المختزنة في عقله الباطن والثوابت الراسخة في ذاكرته ومخياله وتجاربه الحياتية والشعورية. وإذا أردنا من خلال منهج التحليل النفسي أن نفتش عن الأسباب السلوكية والنفسية التي تقف وراء تعلّق الشاعر بهذه الكلمة على هذا النحو المركّز واستخدامها بهذه الكثافة والاصرار فسنجد أنّ ذلك ناتج عن انعكاس تأثير التجارب الشعورية المرّة والقاسية والحزينة المكبوتة في أعماق الذات.

هذه الدراسة تهدف إلى رصد ظاهرة الليل وتعدّدها الدلالي في نصوص النجار، كما تسعى إلى تحليل هذه النصوص واستظهار دلالة مفردة "الليل" وإيحاءاتها من خلال السياق التي ترد فيه.

أسئلة البحث:

- كيف تجلّت مفردة "الليل" في دواوين الشاعر حسن النجار؟

- ماهي الدلالات التي تحملها هذه المفردة في نتاجاته الشعرية؟

خلفية البحث:

من أبرز الدراسات التي ركّزت على الليل ودلالاته في الشعر العربي نخصّ منها بالذكر كتاب: "الليل في الشعر الجاهلي: دراسة نصية" للباحث رمضان عامر (٢٠٠٨م). وكتاب آخر "الليل في الشعر الجاهلي" لنوال مصطفى ابراهيم (٢٠٠٩م). والرسائل التي اعتنت بظاهرة الليل نذكر منها: "الليل في القصيدة الأندلسية: دراسة فنية" لحنان أمين حيرب (١٩٩٢م) في جامعة عين شمس. و"صورة الليل عند شعراء الرومانسية في مصر" لنادية لطفي حمدين ناصر (٢٠٠٢م) في جامعة عين شمس؛ و"الليل في رؤية الشاعر العربي مهموماً ومحبّاً" لعبدالله محمد علي المصوري (١٩٩٢م) في جامعة أم القرى؛ ورسالة موسومة بـ "صورة الليل في شعر بدر شاكر السيّاب: دراسة فنية" لعيد حجازي عبدالعليم (١٩٩٤م) في جامعة المنيا. لكننا من خلال بحثنا عن موضوع هذا البحث لم نعثر على دراسة تعالج "الليل" وتمظهراته الدلالية في شعر حسن النجار.

السيرة الذاتية للشاعر:

وُلِد الشاعر الإماراتي حسن علي النجار، في مدينة الشارقة بتاريخ ٢٦ يناير ١٩٨٤ ونشأ وترعرع في مدينة خورفكان على شواطئ البحر في إمارة الشارقة. حاصل على ليسانس دراسات إسلامية من كلية الدراسات الإسلامية والعربية في دبي، وقد درسَ ماجستير اللغة العربية في جامعة الشارقة، كما يعمل مفتّش عمل أوّل في وزارة الموارد البشرية والتوطين.

وهو عضو في اتّحاد كتّاب وأدباء الإمارات، وعضو في جمعية حماية اللغة العربية. له ثلاثة دواوين شعرية: حنين المرايا (٢٠٠٧)؛ حمام الروح (٢٠١١)؛ وعلى وسادتِهِ مسٌّ من القلقِ (٢٠١٧). شارك في مسابقة أمير الشعراء في موسمه الثالث عام ٢٠٠٩م، كما شارك في العديد من الأمسيات الشعرية محلياً وعربياً.

مفردة الليل ودلالاتها:

الليل هو ضد النهار وخلافه (٣)؛ وإنّه عقبه ومبدئه من غروب الشمس (٤). فالليل يوحي بالزمان حيث تدلّ مفردة "الليل" على زمن معروف وتتضمّن في ثناياها معنى حرف "في" الجارة الدالّ على الظرفية أي أن شيئاً ما داخل في شيء آخر (٥).

لقد ورد لفظ الليل في القرآن الكريم بمختلف اشتقاقاته ٩٢ مرّة، ورد بلفظ الليل ٧٤ مرّة، وبلفظ ليلاً ٥ مرّات، وبلفظ ليلة ٨ مرّات، وبلفظ ليال ٣ مرّات، وبلفظ ليلها ولياليِ مرّة واحدة لكل منهما (٦). وهذه الكثافة في الاستخدام تدلّ على مكانة الليل في النص القرآني والفكر الإسلامي.

الليل ذلك المجهول الأعظم الذي وقف عنده الأدباء والفلاسفة متأملين (٧) وله من الدلالات ما يخرجها عن دائرة التحديد. إنّ الليل عند الشعراء يتحوّل إلى هاجس نفسي مملوء بالهموم والآلام، ويشكّل مصدر ابتلاء ومحنة لهم (٨).

الليل بامكانه أنّ يكون معادلاً للإيجاب، كما يصلح أن يكون رمزاً للسلب والفساد، وهذا ما يمنحه ثراءه الخاص، ويكشف عن قيمته وأهميته في النص الشعري؛ إذ يجعله ذلك وسيلة فاعلة للتعبير عن القيمة المأمولة، والمظاهر المرفوضة معاً. وهذا الثراء هو الذي يعلّل هذا الاحتفاء الشعري الفاعل بالليل، ويقف خلف شيوع الصورة الليلية وهيمنتها في الخطاب الشعري قديمه وحديثه (٩).

وقد يُستخدم "الليل" في النصوص الشعرية إمّا بشكل مباشر للدلالة على الزمن الحقيقي المعروف، وإمّا وسيلة تعبيرية تساهم في تعميق الرؤية الفنية وتزيد من ثراء النص وخصوبته الإيحائية.

تجليات "الليل" في شعر حسن النجار:

مفردة "الليل" تُعتَبر من الثيمات المُحبّبة لدى النجار فقد أكثر من تكرارها والإلحاح على توظيفها، ولاشك في أنّ مثل هذا التكرار الكثيف والمثير للانتباه يعني شيئاً ما في تجربة الشاعر وخياله، وللوقوف على قيمة تكرار هذه الثيمة لابدّ من التركيز على دورها الدلالي في النص. والبحث عن هذه الوظيفة الدلالية تخضع للمنحى السياقي؛ أي للكشف عن دلالات هذه المفردة يجب دراستها وفقاً للسياق البنائي الذي ترد فيه هذه المفردة وإخضاعها للتحليل النفسي.

- الحياة والحركة

جعل الله النهار للعمل والنشاط، والليل للسكينة والاستقرار، وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهارَ مُبْصِراً﴾ (١٠)؛ وهذا لا يعني تعطيل الحياة في الليل تماماً وعدم التمتّع بجماله وبهاءه، بل المقصود التفرّغ من أعباء الحياة ومشقات العمل في هذا الظرف الزماني. والإنسان من أجل التشبّث بالبقاء والخلود يغتنم كلّ فرصة يجدها متاحة أمامه، فنجده ينطلق في الليل ليباشر الحياة ويستمتع بها. وفي المدن المطلّة على البحر بسبب ارتفاع نسبة الحرارة في النهار تلجأ الناس إلى ممارسة أعمالهم ونشاطاتهم في الليل حيث يجدون فيه متنفّساً للحياة والنشاط والحيوية والحركة؛ ضف إلى ذلك جمال البيئة في المدن الخليجية خاصة في الليل، والشواطئ التي تسحر الألباب وتستهوي الناس للمتمتّع بالحياة. فمن هذا المنطلق نجد الشاعر حسن النجار يستخدم الليل للدلالة على الحركة والحيوية والنشاط، ففي قصيدة تحت عنوان (الليل و...) يبدأ:

الليلُ والموسيقى

في روحِنا نهرانِ

ترقرقا تشويقا

لنبضِنا الولهانِ

تسامرا تطويقا

كلاهما سرّانِ (١١)

فقد أصبح الليل في هذا المقطع ملازماً للموسيقى، فهما يجريان في الروح، وقد يبرز جمالهما وسحرهما أثناء المسامرة، حيث كلاهما سرّان من أسرار الوجود. وفي هذه القصيدة يعطف النجار على (الليل) مفردات أخرى كـ (الغرباء، والطرقاتُ، والعشاقُ)، فكلّ هذه المفردات ترتبط بالليل ارتباطاً وثيقاً لتشكيل دوال تعبيرية؛ ففي المقطع الأخير من هذه القصيدة يقول:

الليلُ والعشاقُ

وشاطئٌ ممتدُّ

مسيرهم أشواقُ

فقد تراءى الوعدُ

في الجزرِ راقَ عِناقُ

وكم يشاغبُ مدُّ (١٢)

فالليل في هذا المقبوس يدلّ على المرح والنشاط من خلال اجتماعه مع العشاق والشاطئ الممتدّ، حيث يلتقي فيه العشاق. الليل هو الصديق الثابت الحنون الذي يخفي العشّاق بظلمته ويضيّعَهم عن عيون الراصدين ساعات الترقب، وهذا الأمر يدفع الشاعر/ العاشق للتماهي مع الليل وملازمته والعيش فيه. وقد تتجلّى قيمة الليلة من خلال تعالقه مع المكان (شاطئ البحر) الذي يمثّل قيم الجمال والإلهام والحركة.

- السكون والهدوء:

أجمل ما في الليل هو سكونه المسيّج بالظلام، فالإنسان يجد فيه راحة بال وانشراح بعد ما انتهى من النهار وضجيجه ومشقّاته. وجد الشعراء في الليل سكينة وهدوء وطمئنينة، فوصفوه بأجمل الأوصاف والصور. يقول النجار:

ربما انتصفَ العمرُ

والقلبُ مازالَ

يرسمُ أحلامَهُ

يتلمَّسُ روحَ البدايةِ في كلّ خُطواتِهِ

والمسافاتُ وهمٌ لذيذٌ

وصحوٌ مريبٌ

وأغنيةٌ تتقلّبُ في كلّ حالاتِها ..

والزمانُ سكونُ البحيرةِ في ليلةٍ هادئة

راهبٌ لم يعد مبصراً غيرَ لحظتهِ الراهنه (١٣)

فالليل هنا يرمز للسكون والهدوء، وقد أخذ دلالاته الإيجابية من خلال السياق الذي انتثرت فيه مفردات أخرى كلّها توحي باللذة والمرح والنشاط: (وهمٌ لذيذٌ؛ صحوٌ مريبٌ؛ أغنيةٌ؛ سكون البحيرة؛ هادئة). هذا وقد نعتَ الشاعر (الليل) بالهدوء (ليلة هادئة).

النوارسُ

منصفَ الليل

موغلةٌ بسكون لذيذ .. (١٤)

فهنا استخدم الشاعر (الليل) ليدلّ على الزمن من خلاله، الزمن الذي تكون النوارسُ فيه موغلةٌ بسكون لذيذ، فقد وجد النجار في الليل سكينة وهدوءاً.

يا أيُّها الليلُ كان الصَّمتُ سيِّدنا

يُشيرُ نحوَ دروبِ الوهمِ (١٥)

يخاطب الشاعر في هذا المقبوس (الليل) وهو مظهرٌ من مظاهر الصمت والسكون، ففي تلك الليلة كان الصمتُ سيّد الموقف، وهذا الصمت يوحي بدروب الوهم. وهذه الدلالة لمفردة (الليل) كانت معهودة في الشعر القديم وخاصة في معلقة امرئ القيس. وتتّسع دلالة "الليل" هنا من خلال بنية الفعل المضارع (يُشير) التي توحي بمعاني التجدّد والاستمرار.

وفي قصيدة تحمل عنوان "تصوف" يقول حسن النجار:

والليلُ يصحو قُربَها مُتَصَوِّفا ..

ويقولُ:

مولاتي أتيتك مُرهَفاً (١٦)

فالليل الذي من شأنه السكر والطيش، يصحو أمامها فيغدو متصوّفاً مُرهَفاً. فالشاعر يرى الليل هائجاً طائشاً غير ساكن لكنّه يصبح متصوّفاً هادئاً في اقترابه للحبيبه.

- الشعور بالأمان والاستقرار

الأمان هو ذلك الاحساس الغريزي الذي يدور في خلد الإنسان ويجعله يشعر بالطمأنينة والسلام والارتياح بعيداً عن الخوف والتوتر والقلق النفسي. الأمان هو حالة انفعالية يشعر فيها الإنسان بحمايةٍ تحفظ له أسرته وكيانه وماله ووظيفته وكرامته وحريته. ومن نعم الأمان أن يشعر الفرد بالراحة والاستقرار والحرية، وهذا الشعور يؤدّي إلى التوازن الجسمي والعقلي. وقد يشعر الفرد بالأمان والاستقرار في الليل أكثر منه في النهار لابتعاده عن ممارساته اليومية والمهنية. فيصبح الليل عندئذٍ مصدراً للألفة والسلام:

الليلُ والغرباءُ

تآلفٌ وسلامُ (١٧)

فيجد الغريب في الليل سكينة وألفة ومحبة وسلام؛ فهو يعود في الليل لنفسه شارداً من متاعب الحياة وهمومها لينطوي على ذاته. فمن هذا المنطلق يشكّل الليل شاطئ الأمان النسبي، والطمأنينة العابرة، والسلام المؤجّل والهدنة القلقة مع الذات، فصار الليل بحكم الواقع هو الزمن المشبع بالحرية بالنسبة للغريب.

المرافئُ ليلاً ..

تُرمّمُ أوجاعَها،

وتنام (١٨)

فهنا الليل زمن مناسب للنوم والفرار من الأوجاع والهموم والشعور. فمن خلال السياق يتبيّن لنا أن الشاعر اتّخذ الليل زمناً للسكينة والاستقرار. فجميع صور الحياة الأرضية من إنسان، وحيوان، ونبات، وغير ذلك من أنماط الحياة البسيطة لا تتحمّل مواصلة العمل دون راحة واستقرار وإلّا هلكت، فهي تحتاج إلى استقرار وراحة في الليل لاستعادة النشاط والحيوية. (١٩)

- زمن المسامرة مع الأحباب

من جماليات الليل هو الشعور بالراحة والانشراح أثناء السهر والمسامرات الليلية مع الأحباب. فبعد انشغالات الإنسان طول النهار، يجد الليل وقتاً مناسباً لزيارة الأحبة وتفقّدهم والسهر معهم. وقد تعوّد البعض على هذه المسامرات الليلية مع الأحباب، حيث تعني له الكثير في حياته خاصّة إذا كانت هذه السهرات مع الحبيب:

حينَ يأتي الليلُ نقضيه بأشواقٍ دفينة

نكتم الشوقَ .. وتهدينا أغانيه حنينه (٢٠)

فهنا أصبح الليل زمنٌ للمسامرة، ومحبّب للنفس حيث يقضيه الشاعر مع الأحباب بأشواق دفينة.

يا أيها الصمتُ راقص فتنةَ الضوء ..

وامسك أناملَها في مُنتهى البُطءِ ..

وليشهدِ الليلُ طعمَ العشقِ في البدء (٢١)

الشاعر هنا استخدم الليل للمسامرة وأراد منه أن يشهدَ طعمَ العشق منذ البدء. ولا يخفى أنّ الليل في هذا السياق يدلّ على الفرح والرفاهية والسعادة واجتماع الأحبة والمسامرة معهم. ويبرز في هذا النص مدى ارتياح ذات الشاعر لليل، والخطاب يشي بمدى القيمة الجمالية الإيجابية لليل، كما يكشف عن إعجاب الشاعر به.

- الانتظار والحلم

في الليل عادة هناك فرصة كي يختلي فيها الشاعر بالنفس وقد يحاول الإنسان أن يهرب من عالم الواقع إلى عالم الخيال والأحلام لعلّه يجد هناك ما يطيب خاطره ويرتاح من هموم الدنيا. وقد استخدم النجار هذه الدلالة في شعره:

كوني أنامل حُلمٍ تستثير رؤىً وتحرثُ الأمل الغافي مدى العُمُرِ

وسرّحي الشّعرَ .. في كفّيّ أجمعُهُ ليلاً .. يرتّلُ نايات لمنتظِرِ (٢٢)

فالليل ظرفٌ زمني يدلّ على طول الانتظار؛ لكنّ الشاعر هنا يحبّذ هذا الليل ويتّخذه زمناً مناسباً لمسامرة الحبيب ومغازلته.

أسيرُ في الليلِ مكسُوّاً بغيمتهِ

أظلُّ للمطرِ المجنونِ منتظرا (٢٣)

ففي هذا النص جاء الليل في سياق الانتظار، فالشاعر يسير في الليل وهو ينتظر المطر المجنون. وفي قصيدة أخرى يرثي فيها أباه تحت عنوان "أسير الذكريات.." فيقول:

لو كنتُ

في زمن الخرافةِ

والليالي الألف

ووجدتُ فانوساً

سأطلب في الأمانيّ الثلاث

أني أراك ..

أني أراك ..

أني أراك .. (٢٤)

فالشاعر يتمنّى كي يعود إلى زمن الخرافة وتلك الليالي الألف من ليالي ألف ليلة وليلة لعلّه يجد فيها فانوساً سحريّاً يمكّنه من رؤية أبيه التي أصبحت له أمنيّة. وقد وجدنا الشاعر في هذا المقبوس ينتهج في تفكيره نهجاً عفويّاً خياليّاً، لكنّه سرعان ما يفيق من هذا الحلم الحلو:

لكن مضى

زمن الخرافةِ

والليالي الألف.

وأفقتُ من حُلُمي

على أنقاض همي (٢٥)

وفي قصيدة تحمل عنوان "قمر الانتظارات" يقول:

على حزنِهِ

يفتحُ الليلُ أبوابَهُ

حين زُفَّ إلى عزلتِه

كلَّ يومٍ على حالِهِ

والليالي تعطرُ أنفاسَها

وتهيئُ من أجلِهِ

قمرَ الانتظاراتِ

حين يعودُ إلى وحدتِه (٢٦)

لقد استخدم الشاعر لفظة "الليل" مرّة بصيغة مفردة ومرة أخرى بصيغة جمع (الليالي)، فالأولى/ الليل توحي بالحزن والقلق، والثانية/ الليالي توحيّ بشيء من الأمل بالعودة، والجمال والعطر.

يا ليالي السعدِ النقيةَ عودي ليعودَ السراجُ فينا مُضاءَ

واحمليني قنديلَ شوقٍ لأحيا مرةً أخرى .. وامنحيني ارتواءَ (٢٧)

لقد أضاف الشاعر لهذه الليالي (السعد النقيّة) وهي دلالة إيجابية، لكن سرعان ما يفاجئنا بانقضاء هذه الليالي. يرى الشاعر (ليالي السعد النقية) قد انتهت فيطلب عودتها كي يعود له النور مرة أخرى لتحقيق أحلامه.

- القسوة والشدّة

القسوة هي غلظ القلب، وشدَّته، وذهاب اللين، والرحمة منه. وقد استخدم الشعراء هذه الصفة لليل ليصوّروا مدى بطشه وتعسّفه؛ كما اعتبروه مصدراً من مصادر الخوف والقلق والتوتّر والهمّ. فهذه الرؤية بالنسبة لليل تجسّد انفعالات الشاعر وعدم استقراره. وقد ركّز حسن النجار على هذه الدلالة في النص التالي:

يا ربّي ..

إني في لحظات الضعف

ويخنقني اليأسُ العلقمُ

أتجرع همي كأساً كأساً

تغتالُ ليالي البوحِ شموسي ..

أين النور؟!! (٢٨)

جاء بمفردة (ليالي) بصيغة الجمع ليدلّ على كثرتها وشدّتها. وقد أسند الشاعر فعل الاغتيال لها ليدلّ على قسوتها، فيرى الشاعر هذه الليالي تغتال شموسه، فيبقى وحده يفتّش في هذه العتمة عن بصيصٍ من النور ليهتدي به ويستعين به في لحظات ضعفه، ويأسه، وهمّه.

كوخٌ من الأحزان .. غاب سناهُ ذبلت بليلٍ حالك عيناهُ

والليلُ !! يثقب في جدار إبائهِ ويحيطه خنقاً فيا ويلاهُ! (٢٩)

مفردة "الليل" في هذينِ البيتين تحمل دلالات سلبيّة تدلّ على القسوة والشدّة وعدم الرحمة. ففي البيت الأول نعته بـ "حالك" ليدلّ على شدّته، وفي البيت الثاني جاء بعلامتي الإدهاش (!!) ليمّهد لفعل (يثقب) ومدى استغراب الشاعر من فعله.

وفي قصيدة موسومة بـ "غاب الحبيب .." يقول النجار:

روحٌ بزهرةِ عُمرها تُقطَفُ أواهُ .. نبضُ الليل يَرتَجِفُ

يا ذُعرَها الآمالُ في دَهَشٍ ترتدُّ في الآلامِ تلتَحِفُ

الليلُ يشربُ دمعَهُ كمَداً ويضيعُ في الطرقاتِ يُختَطَفُ (٣٠)

فهنا استخدم الشاعر صنعة التشخيص (نبضُ الليل يرتجفُ) و(الليل يشربُ دمعه كمداً)، مستعيراً من لوازم الإنسان وأفعاله إلى الليل وهو بذلك أضفى قوّة على المعنى ومنح الخيال عمقًا؛ فالليل من شدّة الموقف يرتجف كالإنسان، وهذا يدلّ على مدى تفاعل الليل القاسي مع هذا الحدث الجلل، ونرى هذا التفاعل أيضاً في البيت الثالث فقد تخيّله الشاعر يشرب دموعه من شدّة حزنه وتأثّره. والشاعر في توظيفه لليل في هذا المقبوس لم يخرجه من دلالاته السلبيّة بل أراد أن يصوّر مدى المصيبة التي حلّت في غياب الحبيب وتأثيرها على الكائنات بما فيها الليل القاسي.

- الظلام والعتمة

الظلام من أبرز خصائص الليل، وهو يجلب الحزن والقلق والكآبة للشخص الوحيد. يرتبط ظلام الليل بالهموم كثيراً في النتاجات الشعرية، وقد صوّره الشعراء بمعانٍ شتّى ليظهروا أثره في نفسيتهم لأنّ «طول الليل أو قصره يقدّم وصفاً ضمنياً لحالة الشاعر النفسية» (٣١).

الكونُ .. يُنصت لاستماع غنائها متمايلاً في نشوةِ الإيناس

عنوانُها !! بوحٌ يفيض صبابةً ونشيدُها !! في الليلِ كالنبراس (٣٢)

ركّز الشاعر هنا بعناية على الصوت وجماله، وقد اعتبر النشيد / الصوت نبراساً يضيء العتمة في الليل المظلم.

ويشتكي البعدُ

كيف العمرُ يسرقُنا؟!!

ومن يُرَتّقُ جرحاً شَقَّهُ البعدُ

والليلُ كم حفظَ الأسرارَ منك

وقد أنّت خزائنه إذ ضمّها الوَجدُ (٣٣)

فالليل هنا جاء حافظاً للأسرار، فبسواده وظلامه يستر المكشوف ويحفظ الأسرار، وغالباً ما تقع عمليات التستّر والتلصّص في ظلام الليل. وقد جاء في القرآن الكريم ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِباساً﴾ (٣٤)، فقد وصف الليل باللباس أي الساتر.

- الشعور بالغربة

الليل بظلمته الحالكة يشكّل شعوراً حزيناً للغريب وقد ينتج منه الشعور بالضياع والوحدة والحزن. والليل أطول وأثقل ما يكون على الإنسان المغترب البعيد عن أهله وأحباب ووطنه، فعندئذٍ يجد الليل بعتمه وظلامه الدامس وحشة تبعث في نفسه الخوف والقلق والهم، وإذا كان الشخص على طول النهار منشغل بالعمل والناس من حوله، فهو في الليل يتفرّغ لهمومه وقلقه فيعود وحيداً منكسراً تحيط به الوحشة من كل جانب. وقد صوّر النجار هذا الليل ومدى مضاضته ووحشته للأغراب:

لكن تكدستِ الليالي وارتمت في أفقه .. إنا بها أغرابُ (٣٥)

فقد جاء بمفردة "الليالي" بصيغة الجمع ليدلّ على بطش الليل ووحشته بالنسبة للغريب. وفي قصيدة "المجد للخلق العفيف .." التي قالها الشاعر للفريق ضاحي خلفان تميم القائد العام لشرطة دبي في حملته ضد المحطات الفضائية الهابطة:

ما كنتُ أحسبُ أن تهبَّ بشائرٌ ويضيءَ في ليل الغريبِ شهابُ (٣٦)

ففي هذا البيت تحمل مفردة "الليل" دلالة سلبية لاضافتها إلى مفردة "الغريب". ولكن هذا الليل بفضل جهود الفريق ضاحي أصبح مضيئاً، فقد أخرجه الشاعر من الظلام وأحاطه بالنور من كل جانب: (الاضاءة – الليل – شهاب).

الخاتمة:

– يحتفي الشاعر حسن النجار بالليل، ويضفي عليه دلالات وإيحاءات حسب السياق الذي ترد فيه هذه المفردة، وأحياناً يشير إلى الليل كظاهرة طبيعية موظفاً إياه حسب ما هو مألوف في المعنى الوضعي لهذه المفردة. وهذه الكثرة في استعمال كلمة الليل لم تضعف تعابيره ولم تسرّب الملل والتكرار لنصوصه ومعانيه، ولم تورث لشعره الخلل والارتباك.

– لاشك أنّ استخدام كلمة الليل بهذه الكثافة الغريبة هو أمرٌ لا يمكن أن يكون عفوياً أو مصادفة بأي حال من الأحوال. كثافة استخدام مفردة الليل في نتاجات النجار الشعرية لا تعني أنّه يعاني من انهزامٍ روحيّ، أو تأزّم نفسي، أو أنّه مستسلمٌ لليل وسطوته، بل وجد في هذه المفردة دلالات مكثّفة للتعبير عن رؤيته وترسيم صوره الشعرية.

– استخدام النجار لمفردة "الليل" في دواوينه لا ينحصر على جماليات هذه المفردة وتشكيلها للبنية الموسيقية من خلال تكرارها المكثّف، فكثرة استعمال هذه المفردة والإلحاح على تكرارها باشكال وأنماط متعدّدة في شعره يدلّ على أنّ معنى هذه المفردة الموحية إنّما يعود إلى بعض الذكريات المختزنة في عقله الباطن والثوابت الراسخة في ذاكرته ومخياله وتجاربه الحياتية والشعورية.

– ما يلفت الانتباه في دواوين الشاعر الثلاث، إنّه استخدم مفردة "الليل" بدلالات أكثرها سلبيّة كالحزن، والقلق، والشعور بالغربة، والوحشة والظلمة والقسوة، كما لا يهمل الدلالات الإيجابية لهذه المفردة، فقد وجد فيها الهدوء والسكينة والحركة والشعور بالأمان والراحة.

– في ديوان "حنين المرايا" جاءت مفردة الليل بدلالات سلبيّة فهي توحي بالظلمة والسواد، وهذه الدلالات تتناسب مع فكرة الديوان التي تركّز على القلق والحزن والفراق والرثاء. هذا الحزن يبدو لنا من بداية الديوان وتحديداً صفحة الاهداء حيث أهدى الشاعر ديوانه هذا إلى والده المغفور له.

الهوامش:

١– محمد صالح ناجي عبده، توظيف الليل في الشعر العربي المعاصر، ٢٠١٣م، ص ٥ .

٢– لقاء موسى فنجان، «الانفتاح الدلالي في الخطاب الشعري الحديث (الليل أنموذجاً)»، ٢٠١١م، ص ١٧.

٣– الأزهري، تهذيب اللغة، ١٩٦٧، ١٥/ ٤٤٣؛ ابن الفارس، معجم مقاييس اللغة ، د.ت، ٢٢٥/٥ .

٤- ابن منظور، لسان العرب، د.ت، ١١/ ٦٠٧ .

٥- عباس حسن، النحو الوافي، ١٩٧٤م، ص ٢٤٢ .

٦- محمد فؤاد عبدالباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ١٣٧٨هـ، صص ٦٥٦- ٦٥٧ .

٧- عمر محمد طالب، العزف على وتر النص الشعري دراسة في تحليل النصوص الأدبية الشعرية، ٢٠٠٠م، ص ٢٨ .

٨- يوسف عمليات، جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجاً، ٢٠٠٤م، ص ٢١١ .

٩- محمد صالح ناجي عبده، توظيف الليل في الشعر العربي المعاصر، ٢٠١٣م، ص ٥ .

١٠- سورة يونس/ ٦٧ .

١١- النجار، على وسادته مسّ من القلق، ٢٠١٧م، ص ٣٢ .

١٢- المصدر نفسه، ص ٣٣ .

١٣- المصدر نفسه، ص ٢٢.

١٤- المصدر نفسه، ص ٢٤ .

١٥- المصدر نفسه، ص ٤٢.

١٦- المصدر نفسه، ص ٥٨.

١٧- المصدر نفسه، ص ٣٢.

١٨- المصدر نفسه، ص ٣٤ .

١٩- زغلول راغب محمد النجار، السماء في القرآن الكريم، ٢٠٠٧م، ص ,٤٢٢

٢٠- النجار، حمام الروح، الشارقة، ٢٠١١م، ص ٣١ .

٢١- النجار، على وسادته مسّ من القلق، ٢٠١٧م، ص ,٣٧

٢٢- النجار، حمام الروح، الشارقة، ٢٠١١م، ص ١٠.

٢٣- النجار، على وسادته مسّ من القلق، ٢٠١٧م، ص ,٣٨

٢٤- النجار، حنين المرايا، ٢٠٠٧م، ص ٥٤.

٢٥- المصدر نفسه، ص ,٥٥

٢٦- النجار، على وسادته مسّ من القلق، ٢٠١٧م، ص ٥٥ .

٢٧- النجار، حنين المرايا، ٢٠٠٧م، ص ٦٨.

٢٨- المصدر نفسه، ص ,٣٨

٢٩- المصدر نفسه، ص ٤١.

٣٠- المصدر نفسه، ص ,٥٨

٣١- عبدالاله الصائغ، الزمن عند الشعراء، ١٩٥٨، ص ,٢٧٣

٣٢- النجار، حنين المرايا، ٢٠٠٧م، ص ١٢.

٣٣- النجار، على وسادته مسّ من القلق، ٢٠١٧م، صص ١٥ و١٦.

٣٤- سورة نبأ / ,١٠

٣٥- النجار، حنين المرايا، ٢٠٠٧م، ص ٤٩ .

٣٦- المصدر نفسه، ص ٤٩.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

- ابن فارس، أبو الحسين أحمد: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر، د.ت.

- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار الفكر، د.ت.

- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد: تهذيب اللغة، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧.

– حسن، عباس، النحو الوافي، ج ٤، مصر، دار المعارف، ط٣، ١٩٧٤م.

– الصائغ، عبدالاله، الزمن عند الشعراء، بغداد، دار الشؤون الثقافية، ١٩٥٨.

– عبدالباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مصر، مطابع الشعب، ط١، ١٣٧٨هـ.

– عمر محمد طالب، العزف على وتر النص الشعري دراسة في تحليل النصوص الأدبية الشعرية، دمشق، اتحاد الكتّاب العرب، ٢٠٠٠م.

– عمليات، يوسف، جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجاً، الأردن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٤م.

– فنجان، لقاء موسى، «الانفتاح الدلالي في الخطاب الشعري الحديث (الليل أنموذجاً)»، مجلة كلية التربية للبنات، المجلد ٢٢ (٣)، ٢٠١١م، صص ١ – ١٨.

– النجار، حسن علي، حمام الروح، الشارقة، دائرة الثقافة والإعلام، ٢٠١١م.

----------، حنين المرايا، الناشر المؤلف، ٢٠٠٧م.

----------، على وسادته مسّ من القلق، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ٢٠١٧م.

– النجار، زغلول راغب محمد، السماء في القرآن الكريم، بيروت، دار المعرفة، ط٤، ٢٠٠٧م.

– عبده، محمد صالح ناجي، توظيف الليل في الشعر العربي المعاصر، أطروحة دكتوراه، جامعة القاهرة، ٢٠١٣م.